Narrative discourse theory between theory and practice An applied study of the voice saying in examples from the book "A dictionary of writers"

Dr. yousuf zaradah*
Dr. Haifaa Dayoub**
Abd alrahman marei al-suleiman al- abd allah ***

(Received 7 / 7 / 2020. Accepted 26 / 8 / 2020)

□ ABSTRACT □

This research examines how narratives benefit from the linguistic model in the process of analyzing narrative speeches, identifying the mechanism by which the literary narration is made of the text, and knowing the methods of analyzing narrative discourse and the forms of its formulation, and the way in which the narration moves from the level of the story to the level of discourse, and structuralism was an appropriate input To find out the components of the narrative discourse through the Gerard Gennett model, all the way up to the narrator's positions and the functions that the discourse promoted in the narration narrations of Yakoot al-Hamwi in his book (Dictionary of Writers). To make this clear, the research presents a definition of the concept of discourse and narration with language and terminology, then mentions narrative theories and the linguistic model for the narrative discourse analysis, and then presents the Gerard Gennett model, and deals with examples from the book (Glossary of Writers) about the narrator's situations and linguistic, narrative and literary functions (voice saying) in the applied study, and finally The search ends with reading the results of the search

key words: The Narrative Discourse, Narrative, Linguistics, Model, Temps, Mode, Voice, Functions.

***Assistant Professor , Arabic Language , Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University Department , Latakia , Syria.**
****Lecturer , Arabic Language , Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University Department , Latakia , Syria.**
***** Ph.D.Student , Department of Arabic Language , Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University , Latakia , Syria.**

نظريّة الخطاب السرديّ بين التنظير والتطبيق
دراسة تطبيقيّة لمقولة الصوت في أمثلة من كتاب " معجم الأدباء"

الدكتور يوسف زرده*
الدكتورة هيفاء ديّوب**
عبدالرحمن مرعي السليمان العبدالله***

(تاريخ الإيداع 7 / 7 / 2020. قبل للنشر في 26 / 8 / 2020)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث كيفية استفادة السرديات من النموذج اللسانيّ في عملية تحليل الخطابات السرديّة، والتعرف على الآليّة التي يصنع بها السرد أدبيّة النصّ، ومعرفة طرق تحليل الخطاب السرديّ وأشكال صياغته، والطريقة التي ينتقل فيها الحكي من مستوى القصة إلى مستوى الخطاب، وقد كانت البنيوية مدخلاً مناسباً للوقوف على مكونات الخطاب السرديّ من خلال نموذج جيرار جنيت، وصولاً إلى أوضاع الراوي والوظائف التي نهض عليها الخطاب في المرويات الحكائية عند ياقوت الحمويّ في كتابه (معجم الأدباء). ولجلاء ذلك يعرض البحث تعريفاً بمفهوم الخطاب والسرد لغة واصطلاحاً، ثم يذكر النظريات السرديّة والنموذج اللسانيّ لتحليل الخطاب السرديّ، وبعدها يعرض لنموذج جيرار جنيت، ويتناول أمثلة من كتاب (معجم الأدباء) عن أوضاع الراوي والوظائف اللغويّة والسرديّة والأدبيّة (مقولة الصوت) بالدراسة التطبيقيّة، وأخيراً ينتهي البحث بقراءة النتائج التي توصّل إليها البحث.

الكلمات المفتاحيّة: الخطاب السردي، السرد، اللسانيات، النموذج، الزمن، الصيغة، الصوت، الوظائف.

* أستاذ مساعد – قسم اللغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .
**مدرسة – قسم اللغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .
***طالب دكتوراه – قسم اللغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .

مقدّمة:

تعدّ اللسانيّات النصيّة فرعاً من فروع اللسانيات، يُعنى بدراسة مميزات النصّ من حيث حدّه وتماسكه ومحتواه الإبلاغيّ(التواصليّ)، ويعدّ السرد فرعاً من فروع الشعريّة المعنية باستنباط القوانين الداخليّة للأجناس الأدبيّة، والنظم التي تحكمها والقواعد التي توجّه أبنيتها، وتحدّد خصائصها وسماتها، الأمر الذي أسهم في لفت أنظار الباحثين وجهودهم إليه منذ وقت مبكر، غير أنّ تعدد الاتّجاهات والمناهج النقديّة الحديثة في ميدان القصّ وتحليل أساليب الخطاب السرديّ أدى إلى كثرة انتشار وتداول المصطلحات المعنية بمفهوم السرد في مجالنا النقدي، الأمر الذي عرّضه لغير قليل من التداخل والاضطراب؛ لذا نسعى في هذا البحث إلى محاولة استيعاب أهمّ ما كان يسير في مجال اللسانيّات والدراسات النقديّة المعنية بالسرد من منظور جيرار جنيت الذي كان له دورٌ مهمٌّ وأثرٌ كبيرٌ في مجال دراسة البنى السرديّة وإشاعة تحليل الخطاب السرديّ، وتطبيق أحد مقولاته(مقولة الصوت) على بعض المرويّات الحكائيّة في كتاب (معجم الأدباء) لياقوت الحمويّ للنظر في مدى استجابتها لمقولات السرد الحديثة باحثين عن روابط حقيقة ومنطقيّة تجمع عرى هذا البحث بالنظريّة السرديّة، وتضعه في ظلّ مقولاتها في محاولة للكشف عن الآليّة التي يصنع بها السرد أدبيّة الخبر.

أهميّة البحث وأهدافه:

تنبع أهميّة البحث من خلال تعميق المعارف السرديّة، ومحاولته تطوير القدرة على قراءة النصوص السرديّة، وتقديم فهم أعمق للظاهرة الأدبيّة في صلتها بقضاياها النقديّة، إضافةً إلى محاولة استنطاق خصائص الخطاب السرديّ في الإطار الذي أمنته لها الفلسفة البنيوية ذات المصادر المختلفة، التي بموجبها استطاع السرديون التأسيس لاتّجاه بات يعرف بالسرديات اللسانيّة أو سرديات الخطاب.

ويهدف البحث إلى الكشف عن الخصوصيّة التي يتميّز بها الخطاب السرديّ من غيره من الأنواع الأدبيّة العربيّة ولاسيّما من حيث تشكّله وتقنيات بنائه، وتطبيق أحد هذه الوسائل الإجرائية على نص عربيّ تراثي للوصول إلى القانون العام الذي يمثّل الجانب الجمالي في كلّ نصّ سرديّ.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفيّ ويستعين بالمنهج البنيويّ الذي يقوم على استقراء الخطاب السرديّ، ومن ثم مناقشته وفق الوسائل والإجراءات المتاحة في الحقل الأدبيّ السرديّ، للوصول إلى بنائية اللغة وأدبيّتها، وفهم طبيعتها وخصائصها الجماليّة ومقاصدها.

أولاً ـ مفهوم الخطاب والسرد لغة واصطلاحاً:

1. مفهوم الخطاب لغة واصطلاحاً:

الخطاب لغة يحيل إلى عدة معان، فقد جاء في لسان العرب في مادة (خ ط ب) قوله:" خَطب الخَطبُ الشأن أو الأمر، صغر أو عظم؛ وقيلَ هو سبب الأمر... والخَطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال...والخِطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان"[1]. وجاء في قاموس المحيط قوله:"

[1] **لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة (خ ط ب) .**

الخِطَاب أو الخطبة الكلام المنثور المسجّع ونحوه، ورجلٌ خطيبٌ حسنُ الخطبة"[1]، وأمّا ما جاء في المعجم الوسيط فقولهم:" خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً، وخِطَاباً: كالَمهُ وحادثه. وخَاطَبَهُ وجَّه إليه كلاماً، الخِطَاب: الكلام، والخِطَاب: الرسالة ..." [2].

أمّا على المستوى الاصطلاحيّ فينحصر الخطاب في الكلام بين اثنين بوساطة شفهيّة، أو مكتوبة، أو مرئيّة، فالإنسان عندما يتكلّم، أو يتواصل مع غيره يستخدم طرقاً متعددة للتبليغ، فقد تكون شفويّة بأن تكون الغلبة فيها للصوت، وقد تكون كتابيَّة يغلب فيها الرمز المكتوب، كما قد يكون التبليغ باستخدام الصورة، أو الحركة أو اللمس أو الشم ...الخ، وغيرها من طرق التواصل الإنسانيّ.

أمّا في المفهوم اللسانيّ فيمكن القول إنّ مفهوم الخطاب حديث النشأة ارتبط ظهوره باللسانيّات التي انصبت دراستها على الجملة غير أنّ الخطاب تجاوزها على يد هاريس بتحليل عُرِف بالتوزيعيّ،" حيث يقوم الدارس بتقطيع النصّ إلى عناصر تركيبيّة مجتمعة في طبقات متعادلة تتكون مثل هذه الطبقة من مجموع العناصر التي تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه؛ فالتحديد يريد لنفسه أن يكون نحواً محضاً، أي أنّه لا يأخذ في الحسبان مسألة العلاقة الدلاليّة بين العناصر المتعادلة نحواً"[3].

ويعد إميل بنفنيست من أبرز الذين أسسوا لمصطلح الخطاب فعرفّه بأنّه" الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، بمعنى أنّ الخطاب في عرفه هو الفعل الحيويّ لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلّم معين في مقام معين"[4]. ثم وسّع بنفنيست مفهوم الخطاب في سياق تمييزه بين السرد والخطاب، فذهب إلى أن ملافظة السرد مخصصة اليوم للغة المكتوبة في حين أنّ ملافظة الخطاب هي ملافظة مكتوبة مثلما هي ملافظة منطوقة[5]. إلى أن انتهى به الأمر إلى القول إنّ الخطاب هو" كلّ تلفّظ يفترض متكلّماً ومستمعاً وعند الأوّل هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[6]. وبهذا التعريف نجد أنّنا أمام تنوّع وتعدّد الخطابات الشفويَّة التي تمتد من المخاطبة اليوميَّة إلى الخطيّة الأكثر صنعة وزخرفة، وإلى جانب الخطابات الشفويّة نجد أيضاً كتلة من الخطابات المكتوبة التي تعيد إنتاج الخطابات الشفويّة، أي أنّنا نجد أنفسنا أمام كلّ الأنواع التي يتوجّه فيها متكلّم إلى متلقٍ، وينظم ما يقوله من خلال مقولة الضمير.

أمّا عند العرب فقد عرّفه محمد القاضي بقوله:" دالٌ كلامي منسّقٌ يتجاوز حدود الجملة الواحدة، وفيه وبه تتأدّى مجموعة من المداليل. أمّا صفة السرديَّة اللاحقة به فهي التي تسمه وتخصصه إذ هو الحامل للمدلول القصص"[7]. ثم أشار إلى أنّ من مفاهيم الخطاب أنّه مجال يتناول تداول الأقوال بين جهات مختلفة بين المؤلّف والقارئ، وبين الراوي والمرويّ له، وبين الشخصيّة والشخصية وبينها وبين ذاتها لاسيّما في المونولوغ الباطني. والمعتبر في هذا المفهوم للخطاب الأعمال اللغويّة الدائرة بين مستعملي اللغة في مقامات شتى وكيفيّات تداولها بين المتخاطبين. كما أنّ

[1] القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تح: محمد نعيم العرقسوسيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1998م، مادة (خ ط ب).
[2] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، 1972م، مادة (خ ط ب).
[3] تحليل الخطاب الروائيّ، سعيد يقطين، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط3، 1997م، ص17.
[4] المرجع نفسه، ص19.
[5] ينظر مصطلحا السرد والخطاب(مقاربة بين النظرية والنظرة اللغوية العربيّة القديمة)، السعيد الهادف، مجلة المبرز، فيفري، 2002م، ص27-29.
[6] تحليل الخطاب الروائيّ، سعيد يقطين، ص19.
7 معجم السرديّات، محمّد القاضي وآخرون، الرابطة الوطنيّة للناشرين المستقلّين، بيروت، ط1، 2010م،ص184.

للخطاب معنى آخر يتعلق بارتباطه بخطابات أخرى في النصّ فينظر إليه من زاوية ارتباطه بنصوص أخرى[1]. وهناك مفاهيم أخرى للخطاب تتناوله من زوايا مختلفة.

2. مفهوم السرد لغة واصطلاحاً:

السرد لغةً تقدمةُ شيءٍ إلى شيءٍ، تأتي به متّسقاً بعضُهُ في أثرِ بعضٍ متتابعاً، وقيل سردَ الحديث ونحوهُ يسردُهُ سرداً إذا تابعَهُ. وفلانٌ يَسْرُدُ الحديث سرداً إذا كان جَيِّدَ السياقِ له[2]، وممّا جاء في معجم القاموس المحيط:" درعٌ مسرودةٌ ومسرّدةٌ بالتشديد فقيل سردها، نسجها، وهو تداخل الحلق بعضها في بعض"[3]، وورد في معجم المنجد في اللغة والأعلام:" سردَ سرداً وسراداً الحديث أو القراءة"[4]. وفي المجاز نجومٌ سَرْدٌ: متتابعةٌ، وتَسَرَّد الدرُّ: تتابع في النظام، وماشٍ مِسْرَدٌ يتابع خطاه في مشيه[5]. ومما سبق نستنتج أن للسرد مفاهيم كثيرة منطلقة كلّها من أصله اللغويّ الذي يعني التنظيم والتتابع والنسج.

أمّا في الاصطلاح فالسردُ خطابٌ غيرُ منجزٍ، وله تعريفات شتى منها " إنّه وصف أفعالٍ يستمد السارد فيه لكلّ موصوفٍ فاعلاً وقصداً وحالةً وعالماً ممكناً وتبدّلاً وغاية. فضلاً عن الحالات الذهنيّة، والشعوريّة، والظروف المتّصلة بها، والسلسلة اللفظيّة المشفّرة التي يرسلها المؤلِّف، يقوم المتلقي بحلّها في ضوء السياق الثقافيّ، وبذلك يشكّل عالماً خياليّاً يستمد دلالته من المضمرات النصّيّة التي تُستثار بعلاقاتها المختلفة بالمرجع"[6].

ويحسن بنا هنا الإشارة إلى تعريف جيرار جنيت الذي تأصّل المصطلح على يديه، وقد عرّفه من خلال تمييزه القصة " أي مجموع الأحداث المرويّة "، من الحكاية " أي الخطاب الشفهيّ أو المكتوب الذي يرويها"، ومن السرد " أي الفعل الواقعيّ أو الخياليّ الذي ينتج هذا الخطاب أي واقعة روايتها بالذات"[7].

وقد جاء أيضاً أنّ السرد" فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة، وهو فعل حقيقيّ أو خياليّ ثمرته الخطاب ويشمل السرد على سبيل التوسّع مجمل الظروف المكانيَّة والزمانيَّة، الواقعيّة والخياليّة التي تحيط به"[8]. وقيل أيضا أنّه " وسيلة وسيلة توصيل القصة إلى المستمع أو القارئ بقيام وسيط بين الشخصيات والمتلقّي هو الراوي"[9].

وتقوم العمليَّة السرديَّة بالمعنى السابق على ثلاثة عناصر هي: السارد(الراوي ـ الكاتب) والقصة(المحكي) والمسرود له ـ القارئ)، وهذه العناصر الثلاثة هي القناة التي تمرّ عبرها قصة ما، كما سيصبح السرد اعتماداً على هذه العناصر" الكيفيَّة التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثّرات، بعضها متعلّق بالراوي والمروي له، وبعضها الآخر متعلّق بالقصة ذاتها"[10].

---

[1] **المصدر نفسه، ص184-185.**
[2] **لسان العرب، ابن منظور، مادة (س ر د).**
[3] **القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مادة (س ر د).**
[4] **المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت،2005م، مادة (س ر د).**
[5] **أساس البلاغة، جار الله الزمخشريّ، دار الكتب المصريّة ، مصر، 1922م، مادة (س ر د) .**
[6] **موسوعة السرد العربيّ، عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص13.**
[7] **عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جنيت، تر: محمّد معتصم، المركز الثقافيّ العربيّ، ط1، 2000م، ص 13.**
[8] **معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتونيّ، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002م، ص105.**
[9] **نصوص الشكلانيين الروس: نظرية المنهج الشكليّ، الشركة المغربيّة للناشرين، المغرب، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، ط1، 1982، ص153، 174.**
[10] **بنية الخطاب السرديّ من منظور النقد الأدبيّ، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، ط3، 2000م، ص45.**

3. مفهوم الخطاب السرديّ:

ممّا سبق يمكننا تحديد مفهوم للخطاب السرديّ، فقد أجمع الدارسون على اعتباره قولاً يمكن أن يكون شفوياً أو خطّيّاً يخبر عن حدث أو سلسلة أحداث، وهذا التعريف يقرّب الخطاب من النصّ، كما يقربه من السرد.

وقد اهتمت السرديَّة بهذه المصطلحات الثلاثة (الخطاب، السرد، والحكاية)، ورأت أنّ الخطاب هو نصّ الحكاية أو القصة أو الرواية أو المسرحية، وهو يتحدد بمادته (الكلام أو الكتابة)، ويتحدد بشكله جملاً متلاحقة ذات ترتيب مقصود تعرض مواقفَ وأحداثاً، وهذا العرض محكوم بوجهة نظر الراوي، وبسرعة السرد، وبتعليقات المؤلّف"[1].

ولذا كان من المفيد القول إنّ الخطاب القصصيّ، والخطاب الروائيّ، والخطاب السيريّ، والخطاب الأسطوريّ... كلّها خطابات تتدرج ضمن الخطاب السرديّ.

ثانيا– النظريات السرديّة والنموذج اللسانيّ لتحليل الخطاب السرديّ:

1. النظريات السرديّة:

سارت الدراسات السرديّة في اتّجاهات مختلفة، فقد اهتمّ بعضهم بالمستوى الخطابيّ، في حين اهتمّ بعضهم الآخر بالتركيب السرديّ، كما انصب اهتمام آخرين بالدلالة، و" من ثم نشأت اتّجاهات متعددة في دراسة السرد وتبلورت في مجاله مدارس كثيرة ضاعت فلسفاتها في نظريات مختلفة"[2].

وقد تحدّث الدارسون عن أكثر من اتّجاه تنازع حقل السرديّات هناك من يتحدّث عنها[3]:

1. بحسب الأطر الثلاثة: المكان والزمان والإيديولوجيا فيتحدّث بالتالي عن:

أ. النظريّة الشكليّة في روسيا في الفترة الممتدة من 1914م إلى 1930م.

ب. النظريّة البنيويّة في فرنسا من أواخر الخمسينيات حتّى أواخر الستينيات.

ت. النظريّة الماركسيّة في روسيا بعد الثورة التي توافقت مع الشكلانيّة ثم البنيويّة ثم مع نظريات ما بعد البنيويّة في فرنسا وإنجلترا وأمريكا بعد سنة 1968م.

2. بحسب التقسيم الذي ينطلق من الأسلوبيّة ويمثّله ليتش وشورت في كتابهما(الأسلوب والخيال)، وهما يحصران السرديّات في ثلاثة اتّجاهات هي:

أ. اتّجاه الأحاديّة: وهو اتّجاه ينظر إلى العمل السرديّ بوصفه شيئاً واحداً؛ لأنّ الشكل لا يمكن فصله عن المضمون، ويمكن أن ندرج هنا الشكليّة والبنيويّة.

ب. اتّجاه الثنائيّة: يقسم العمل السرديّ إلى الشكل والمضمون.

ت. اتّجاه الجمعيّة: يحلل أصحاب هذا الاتّجاه العمل السرديّ طبقاً لمفهوم الوظائف في اللغة فهم يحاولون التفريق بين مختلف خيوط المعنى طبقاً لاختلاف الوظائف، وتدرج في هذا الاتّجاه الأسلوبيّة.

3. بحسب التقسيم الذي يلخّص الدراسات السرديّة في أربع قضايا مثّلت أربعة جوانب في النصّ السرديّ، وهي: المؤلّف، النصّ، المحيط الاجتماعيّ، القارئ.

4. بحسب التقسيم الذي يستمد أصوله من المظاهر التي شغلت دارسي السرد المعاصرين في الأعمال السرديّة نفسها وهذه المظاهر هي:

---

[1] معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتونيّ، ص88-89.

[2] السرد ومناهج النقد الأدبيّ، عبدالرحيم الكرديّ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2004م، ص83.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص84-90.

أ. المستوى الخطابيّ: مع باختين، وأصحاب الاتّجاهات البلاغيّة والأسلوبيّة.

ب. المستوى التركيبيّ مع فلاديمير بروب وجريماس وستراوس.

ت. المستوى الدلاليّ: مع الاتجاه السيميولوجيّ ونظريتي القارئ والتفكيك.

والملاحظ أنّ التقسيم الأوّل يهتم بالمظهر التاريخيّ والجغرافيّ والتاريخيّ، بينما يهتم التقسيم الثاني بالجانب الأسلوبيّ اللسانيّ، في حين يتهم التقسيم الثالث بالمداخل التي يمكن للقارئ من خلالها أن يفهم النصّ السرديّ، أمّا التقسيم الأخير فيهتم بالمظاهر اللغويّة للنصّ السرديّ(الخطابيّ، والتركيبيّ، والدلاليّ)، التي أصبحت طرقاً في تحليل النصوص السرديّة؛ إذ إنّها توفّرت على آليات إجرائيّة سهّلت على الدارسين مقاربة النصوص، وقد غدت بمنزلة مناهج بحثيّة لا يستغني عنها دارس السرد.

ويبرز من هذه التقسيمات السابقة الاتّجاه التركيبي، فهو يعد من أكبر الاتّجاهات المعاصرة في دراسة السرد، وينتمي إليه أبرز نقّاد علم السرد الذين توافق فكرهم مع الفلسفة البنيويّة التي ازدهرت في ستينات القرن العشرين، ومن هذا الاتّجاه يبرز تياران هما:" السرديّات الحصريّة التي تدرس السرد كصيغة إنشائيّة، والسرديّات الدلاليّة التي تهتم بتشكيل مضمون الحكاية ودلالته"[1].

وممّا تجدر الإشارة إليه هنا أنّ السرديّة قد ابتعدت كثيراً عن جذورها الأدبيّة المنحدرة منها، أي ابتعادها عن الشعريّة، بسبب اتّساع مجالات اهتمامها، وقد تحوّلت" بذلك من اختصاص جزئيّ إلى اختصاص كليّ أو عام، إنّها من جهة خاصّة عندما تكون تبحث في سرديّة الخطاب الأدبيّ، وتصبح من جهة ثانية عامّة، بتجاوزها السرديّة الأدبيّة إلى السرديّة غير الأدبيّة"[2]. ولعلّ مرد هذا الاتّساع الذي شاب هذا الميدان المعرفيّ، هو شموليّة السرد وطبيعته الخاصّة من جهة، وخصوصيّة الخطابات من جهة أخرى، ولقد أفضى ذلك الاتّجاه لظهور اتّجاهات اختلفت نظرتها لدراسة الفضاء السرديّ باختلاف مرجعياتها الفكريّة.

2. النموذج اللسانيّ لتحليل الخطاب السرديّ:

عكس التوجّه اللسانيّ المعاصر لتحليل النصّ الأدبيّ وخاصّة منه السرديّ ذلك الفارق بينه وبين الدراسات التي سبقته، فقد توجّه هذا الدرس مباشرة إلى النصّ من دون الاحتفاء بالعوامل الخارجيّة والاجتماعيّة والنفسيّة والتاريخيّة، فهي مرفوضة عند أنصار هذا التوجّه، ولا تؤلّف جوهر النصّ من الداخل، وإنّما دراسة النصّ من الداخل هي الجوهر، ليكون بعد ذلك النصّ هو الأساس، وهذا ما عرف بالمناهج الداخليّة التي تعتمد على الدراسة المحايثة للنصّ، وقد استمدّت هذه النظرة الجديدة ـ في ذلك الوقت ـ من اللسانيّات المعاصرة التي كانت لظهورها بوصفها الدراسة العلميّة للغة الأثر الكبير في شيوع طرق جديدة لتحليل الخطاب السرديّ من الداخل، فكما أنّ اللسانيّات هي دراسة اللسان في ذاته ولذاته فإنّ النصّ الأدبيّ وخاصّة السرديّ منه أصبح هو الموضوع الأساس الذي ينطلق منه الدارس للتعرّف على ماهيّته وطبيعته ووظيفته، وهذا ما يؤكّد أنّ التحليل الخاصّ بالخطابات السرديّة فيما يعرف بالتحليل البنيويّ للسرد استفاد من المنهجيّة اللسانيّة فصار تحليل بنية النصوص في ذاتها، ولأجل ذاتها، وذلك بفضل المقولة التزامنيّة في دراسة اللغة.

[1] **السرد ومناهج النقد الأدبيّ، عبدالرحيم الكرديّ، ص89.**

[2] **الكلام والخبر، سعيد يقطين، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط1، 1997م، ص23.**

كما تمت الاستفادة من فكرة النموذج التي تتمثل في جملة القواعد والقوانين التي هي مدار الدرس النحويّ؛ لأنّ النموذج كما يقول رولان بارت:" أصل لا يتكرر وسمة دالة على الفرادة، إضافة إلى كونه أداة مهمّة في التحليل"[1].

على أنّ فكرة النموذج لا تعني القواعد الجامدة، وإنّما تلك التي تفتح" الباب واسعاً أمام الناقد والكاتب للإبداع، فالشكل كائن لغويّ تنجزه اللغة ثم تلغيه، ثم تنجزه ثم تلغيه، وهكذا دواليك مع كلّ قصة تكتب"[2].

وتظهر أهمية النموذج في النتائج الموضوعيّة التي يتوصّل إليها الدراس، كما تظهر في وضوح الطريقة المتبعة، والتحليل المنهجيّ.

كما تمّت الاستفادة من تمييز دي سوسير بين الكلام واللغة، ونظريّة مستويات اللغة(المستوى الصوتيّ، المستوى المعجميّ، المستوى الصرفيّ، المستوى التركيبيّ الدلاليّ)[3].

وهكذا نجد أنّ المشتغلين بالسرد قدّموا نماذج قابلة للتطبيق، وكانت اللسانيّات هي المنطلق الرئيس الذي بنوا عليه نماذجهم مع الاستفادة من الإرث النقديّ الذي تركه الشكلانيون الروس، بل إنّ تقاطعاً يمكن الحديث عنه بين اللسانيّات المعاصرة، والحركة النقديّة الشكلانيّة في أهم مبدأ اتّخذه السرديون ألا وهو الانطلاقة لتحليل الخطاب الأدبيّ من الشكل والمضمون، أي من المبنى الحكائيّ والمتن الحكائيّ كما عند توماشفسكيّ[4]. حيث يكون التقيد هنا هو مجموع الإمكانيات التقنيّة للزمن[5].

ويؤكّد كثير من الدراسين على الدور الإيجابيّ الذي قامت به الحركة الشكلانيّة الروسيّة المتقاطع مع الدرس اللسانيّ، وهو دور ساهم في تغيير النظر للنصّ الأدبيّ بتركيزه على العوامل الداخليّة للنصّ دون الخارجيّة. ومن هنا فإنّ نظريّة الأدب تقوم على دراسة القوانين الداخليّة التي يحدّها شكلوفسكيّ وفق قواعد من التقاليد والممزوجة باللغة الاتصاليّة[6].

ولأهميّة الدرس اللسانيّ ارتأينا التوقّف عند نموذج جنيت لتحليل الخطاب لفهم تيار السرديّات اللسانيّة أو النموذج اللسانيّ في تحليل الخطابات السرديّة.

ثالثاً ـ نموذج جيرار جنيت، وأمثلة تطبيقيّة من كتاب "معجم الأدباء" عن أوضاع الراوي والوظائف اللغويّة والسرديّة والأدبيّة (مقولة الصوت):

1. نموذج جيرار جنيت:

تحتل كتابات جيرار جينت مكانة متميّزة في مقاربة النصوص السرديّة، وذلك راجع لانشغاله فيها بالكشف عن القواعد والقوانين التي تخضع لها هذه النصوص، ولاهتمامه بصفة خاصّة بالميّزات الجماليّة والبلاغيّة لمكوناتها، فكان الهدف من كلّ ذلك هو" أن يضع السرديّات تحت لواء نموذج نحويّ بسيط، ويبني نحواً للحكاية معتبراً إيّاها توسيعاً للفعل ومطبقاً عليها مقولاته: الزمن والصيغة والصوت"[7].

وقد قدّم جينت في كتابه "خطاب الحكاية" طريقة لتحليل الخطاب السرديّ تقوم على الاستفادة المباشرة من اللسانيّات، وجهود سابقيه ممّن اهتموا بقضايا النصّ السرديّ؛ إذ يرى أنّ النصّ الأدبيّ كيفما كان نوعه لا يكف عن

[1] مدخل إلى التحليل البنيويّ للقصص، رولان بارت، تر: منذر عياشيّ، مركز الإنماء الحضاريّ، حلب، 2002م، ص11.
[2] المصدر نفسه، رولان بارت، ص11.
[3] دروس في الألسنة العامّة، فردينان دي سوسير، تر: صالح القرماديّ ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربيّة للكتاب، تونس.
[4] ينظر: نصوص الشكلانيين الروس، نظرية المنهج الشكليّ، بوريس توماشفسكيّ، ص180.
[5] مذكرات نقديّة، فاخر ميّا، دار الينابيع، دمشق، 1997م، ص63.
[6] المصدر نفسه، ص64.
[7] الشعريّة، تزفيتان تودوروف، تر: محمد معتصم ورجاء السلامة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1980م، ص31-32.

كونه إنتاجا لغوياً كونه يتعلق بحدث، أو عدة أحداث تماماً مثل الجملة التي تتناولها اللسانيّات، فهي الأخرى تتعلق بحدث كيفما كان، ولأنّ هذه الأخيرة تفترض صيغة نحويّة معينة، فإنّ النصّ الأدبيّ يطلب هو الآخر صيغة ستوفرها له اللسانيّات التي ستؤدي دور المنظم الحقيقيّ لقضايا تحليل الخطاب السرديّ، التي حصرها في ثلاثة مستويات، تمثّل أبعاد النص، الذي رآه متعدد الأبعاد شأنه في ذلك شأن الفعل، فبالنسبة إلى الأول يمكن الحديث عن القصة والخطاب والسرد، وهي تقابل أبعاد الفعل المتمثّلة في زمنه، وموقعه الإعرابيّ، وقائله سواء أكان مبنياً للمعلوم، أم مبنياً للمجهول.

وقد وضع جنيت هذه الأبعاد تحت ثلاث مقولات هي: مقولة الزمن، ومقولة الصيغة، ومقولة الصوت.

1. مقولة الزمن:(العلاقات الزمنيّة بين الحكاية والقصة)

وقد حصر فيه جنيت مجال الزمن السرديّ في مختلف العلاقات الكامنة بين زمن القصة وزمن الحكاية، وهي ثلاث علاقات، وضعها حسب التحديدات الآتية[1]:

أ. الصلات بين الترتيب الزمني لتتابع الأحداث في القصة والترتيب الزمني الكاذب لتنظيمها في الحكاية.

ب. الصلات بين المدة المتغيرة لهذه الأحداث أو المقاطع القصصيّة، والمدة الكاذبة للروايتها في الحكاية.

ت. صلات تواتر: أي العلاقة بين قدرات تكرار القصة وقدرات تكرار الحكاية.

ونفهم من هذا الكلام أنّه في كلّ نصّ سرديّ هناك زمنان: زمن القصة، وزمن الحكاية(الخطاب)، تربط بينهما مجموعة من العلاقات على مستوى ترتيب الأحداث، ومدتها المتغيرة، وتكرارها.

2. مقولة الصيغة:(أنماط التمثيل السرديّ وأشكاله ودرجاته " صيغ الحكاية")

يرى جنيت أنّ قضايا الصيغة السرديّة تنحصر في القضايا التي تخصص الدلالة، وهذا بعيد عن الصيغة النحويّة؛ إذ إنّ وظيفة الحكاية تنحصر في سرد أو قصّ أحداثاً يمكن أن تكون حقيقيّة أو خياليّة. لذلك فهي تخصّ الصيغة السرديّة، أي مواقف الراوي المختلفة من الأحداث التي يرويها سواء أكان بعيداً عنها أم قريبا منها؟ تبعاً للموقع الذي يشغله، لذلك كانت المسافة والمنظور متحكّمين في مسائل الصيغة السرديّة.

وقد ميّز جيرار جنيت بين مظهرين يخصان ما أطلق عليه المسافة، وهما: سرد الأفعال أو الأحداث أي طريقة تعامل الراوي مع الأحداث المختلفة، بمعنى طرق تقديمه لها، أو صيغها المختلفة، وسرد الأقوال أي طريقة تعامل الراوي مع كلام الشخصيات[2].

ثم تحدّث عن التئبير أو المنظور أو الرؤى السرديّة فكان التصنيف الذي وافق عليه وقبله[3]:

أ. التبئير الصفر: وهو النمط الذي تمثّله الرواية الكلاسيكيّة عموماً.

ب. التبئير الداخليّ: وقد يكون:

ـ مفرداً: وذلك عندما يمرّ كلّ شيء من خلال البطل.

ـ متغيراً: عندما يغيب عن القصة ودلالتها بفعل غياب سارد محدد ممّا يفتح المجال للسرد بأن يمرّ عبر شخصيات كثيرة بكيفية أسرع.

ـ متعدداً: كما في الروايات التراسلية (المراسلات) التي يمكن فيها التصدي للحدث الواحد مرّات عدة حسب وجهة نظر شخصيات متراسلة عديدة.

[1] ينظر: خطاب الحكاية: بحث في المنهج، جيرار جنيت، تر: محمّد معتصم وغيره، المطابع الأميريّة ، ط2، 1997م، ص45-165.
[2] ينظر: خطاب الحكاية، جيرار جنيت، ص178-187.
[3] ينظر: المصدر نفسه، ص201-204.

ث. التبئير الخارجيّ:ونمطه الرواية التي يتصرّف فيها البطل أمامنا دون أن يسمح لنا بمعرفة أفكاره أو عواطفه.

3. مقولة الصوت: (الراوي ومتلقّيه الحقيقيّ أو المفترض):

الراوي هو تقنية يصطنعها الروائيّ، وهو الشخص الذي يروي الحكاية، أو يخبر عنها سواء أ كانت حقيقة أم متخيلة[1]. وتعد تقنية الراوي من أهمّ التقنيات التي استأثرت بالدراسة في حقل السرديّات، وقد رأى جنيت أنّ هناك نوعين من الرواة: راوٍ غائب من القصة، وهو ينتمي إلى الإخبار الموضوعي (يقابله السرد بضمير الغائب) وأطلق على هذا النمط من السرد اسم " غيري القصة" ، وراوٍ حاضر بصفته شخصيّة في القصة التي يرويها، وهو ينتمي إلى الإخبار الذاتي (يقابله ضمير المتكلّم)، وأطلق عليه اسم "مثلي القصة"، ولاحظ وجود صنفين من الرواة في هذا النمط "صنف يكون فيه السارد بطل حكايته، وصنف لا يؤدّي فيه إلّا دوراً ثانوياً، يبدو دائماً... في دور الملاحظ أو شاهد"[2].

ثم تحدّث بعد ذلك عن وظائف السارد في السرد، فذكر من الوظائف السرديّة اللغويّة:(الوظيفة السرديّة، الوظيفة الوصفيّة، الوظيفة التأصيلة، الوظيفة الانفعاليّة، الوظيفة الإفهاميّة، الوظيفة المرجعيّة، الوظيفة التواصليّة، الوظيفة الأيديولوجيّة والفكريّة...الخ)[3]. والجدير بالذكر أنّ جنيت كان قد وزّع الوظائف على الراوي بالنسق نفسه الذي وزّع به رومان جاكبسون الوظائف على اللغة.

ثم أشار إلى أنّ خطاب السارد يمكن أن يضطلع بوظائف أخرى، ولعلّ من أهمها الوظيفة الأدبيّة التي سنتناولها في الجانب التطبيقيّ.

2. أمثلة تطبيقيّة من كتاب"معجم الأدباء"عن أوضاع الراوي والوظائف اللغويّة والسرديّة والأدبيّة(مقولة الصوت):

سعينا في هذا التطبيق إلى دراسة المرويّات الحكائيّة في كتاب (معجم الأدباء) لياقوت الحمويّ للنظر في مدى استجابتها لمقولات السرد الحديثة باحثين عن روابط حقيقة ومنطقيّة تجمع عرى هذا البحث بالنظريّة السرديّة، وتضعه في ظلّ مقولاتها في محاولة للكشف عن الآليّة التي يصنع بها السرد أدبيّة الخبر.

ولمّا كان الخبر وحدة سرديّة مستقلة اقتضى ذلك استخراج مقوماته وخصائصه من خلال بنيته الخطابيّة التي يقصد بها تجلّيات الأخبار في اللغة، فاللغة نظامٌ قائمٌ خارجٌ هذه الأخبار له نحوه، فإذا ما أُستخدم في أداء سرديّة الأخبار أصبح له وظائف جديدة ونحو جديد لا يستمد قواعده من الوظائف النحويّة داخل الجملة، وإنّما يستمده من الوظائف التي تقوم بين الوحدات السرديّة، لذلك كان علينا أن نستخلص خصائص البناء اللغويّة في الأخبار من خلال الحديث عن صوت الراوي، والوظائف.

ـ صوت الراوي:

يعد صوت الراوي إحدى المكونات الخطابيّة الأساسيّة في الخبر، ويؤدّي دوراً مهمّاً في تحديد الوضعيّة التي يتخذها السارد وطبيعة علاقته بما يدور حوله من أحداث داخل العمل الحكائيّ. وتهتم مقولة الصوت باستخراج قواعد داخليّة من الأجناس الأدبيّة، وتوجيه أبنية النظم واستنباطها أيضاً، إضافةً إلى تحديد جميع السمات والخصائص التي تتسم بها الأعمال الأدبيّة؛ لذلك كانت تعد عملاً خصباً وغنيّاً.

[1] السرديّة العربيّة: بحث في البنيّة السرديّة للموروث الحكائيّ العربيّ، عبدالله إبراهيم، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط1، 1992، ص11.
[2] خطاب الحكاية، جيرار جنيت، ص99-100.
[3] ينظر: خطاب الحكاية، جيرار حنيت، ص262-264.

ولماّ كان الخبر السرديّ يتكوّن من **الراوي** المرسل أي الشخص الذي ينقل أحداث رواية ما إلى المتلقّي أو المروي له، أي الوسيط بين الأحداث ومتلقيها، **والمروي:** وهو أحداث الراوية ذاتها ولا يمكن أن تؤدّي دورها إلّا بوجود راوٍ ومروي له، أي أنّ السرد والحكاية (الخبر) يعتبران طرفاً ثنائيّاً لدى الراوي اللسانيّ، **والمروي له:** وهو الشخص الذي تصنع له القصّة أو الخبر، في تعارض مع الراوي ولا يلتبس بالقارئ، كما لا يلتبس الراوي بالكاتب[1] كان لمقولة الصوت أهمية كبرى في تحليل النصّ الأدبيّ.

وقد تباين دور الراوي في عملية السرد في كتاب (معجم الأدباء) لياقوت الحمويّ، فقد يهمين على السرد فيظهر في ضمير (الأنا)، أو يتراجع حضوره في ضمير (الهو)، فكان لكلّ حالة مستوى في علاقة الراوي بالقصة تتمثّل فيما هو آت: ـ غيري القصة (الخبر): وتكون بإسناد الرواية إلى راوٍ غائب، وتكون بضمير الغائب.

ـ مثلي القصة (الخبر): وتكون بإسناد الرواية إلى راوٍ حاضر في الخبر سواء أكان بطلاً أم مجرد شاهد، وتكون بضمير المتكلّم.

ولمّا كانت وطأة السنة القصصيّة القديمة التي كانت تعتمد في أكثر الأحيان على الراوي الغائب هي الغالبة على الأخبار، كان القسم الأكبر من الأخبار عند ياقوت الحمويّ محكوماً بغيري القصة (الخبر)، ومن الأمثلة على ذلك:" حدّث الأصمعيّ قال: كان لأبي عمرو كلّ يوم فلسان من غلّته: فِلْسٌ يشتري به ريحاناً، وفِلْسٌ يشتري به كوزاً فيشمّ الريحان، ويشرب في الكوز يومه، فإذا أمسى تصدّق بالكوز وأمر الجارية أن تجفّف الريحان وتدقّه في الأشنان، ثم يستجد غير ذلك في كلّ يوم"[2]. فهذا الخبر جاء بضمير الغائب إذا اضطلع برواية بها راوٍ من خارج الحكاية، ولا علاقة له بالأحداث وهو (الأصمعيّ)، وهو عالم بكلّ شيء فيها إذ يعلم تخصيص أبي عمر لنفسه فلسين، وما يفعل بهما، وما يفعل بالمشترى.

وربّما كان البحث أو الرغبة في معرفة أصول الأخبار، وما واجهتها من أحداث وما قالتها من أقوال علّة في جنوح عددٍ من الأخبار إلى إسناد الرواية إلى راوٍ حاضر فيها سواء أكان البطل نفسه أو إحدى شخصياتها، فمن الأوّل(الراوي البطل نفسه):" وحدّث إسحاق قال: ذكر المعتصم وأنا بحضرته يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه، فقال: تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت، فقال قوم كذا وقال آخرون كذا، فبلغت النوبة إليّ فقال: قل يا إسحاق، قلت: إذاً أقولُ فأصيب، قال: أتعلم الغيب؟ قلت: ولكني أفهم ما يصنع وأقدر على معرفته، قال: فإن لم تصبْ؟ قلت وإن أصبتُ؟ قال: لك حكمك، وإن لم تصبْ؟ قلت لك دمي قال: وجب، قلت: وجب، قال: فقل، قلت: يتنفس، قال: وإن كان ميتاً؟ قلت: تحفظُ الساعة التي تكلّمتُ فيها، فإن كان مات قبلها أو فيها فقد قَمَرْتَني، قال: قد أنصفتَ، قلت: فالحكم، قال: فاحكم، قال: فاحتكم ما شئت، قلت: ما حكمي إلّا رضاك يا أمير المؤمنين، قال: فإنّ رضايَ لك وقد أمرت لك بمائة ألف درهم، أترى مزيداً؟ فقلت ما أحوجني إلى ذلك، قال: فإنّها ثلاثمائة ألف، أترى مزيداً؟ قلت: ما أولاكَ يا أمير المؤمنين بذاك، فقال: يا صفيقَ الوجه ما نزيد على هذا "[3]. وجليٌّ أنّ الراوي يقدّم لنا الأحداث بطريقة مفصّلة، ولا يقول إلّا ما تعلمه شخصيّة البطل (إسحاق بن إبراهيم)، فعلم الراوي مساوٍ لعلم الشخصيّة.

ومن الثاني (الراوي إحدى شخصيّات الخبر)، الخبر الآتي: " حدّثني أبو أحمد قال:" كنّا في مجلس نفطويه وهو يملي، فدخل غلامٌ وضيء الوجه [فقطع الإملاء] وقال: قال رجل من أهل عصرنا:

[1] البنية السرديّة في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ميساء سليمان الإبراهيم، الهيئة العامّة للكتاب، دمشق، 2011م، ص44.
[2] معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، تح: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 1993م، 1318/3.
[3] المصدر نفسه، 602/2.

كم خاسَ ميعادُكَ يا مُخْلِفُ كم تُخْلِفُ الوعدَ وكم تَحْلِفُ
قد صرتُ لا أدعو على كاذبٍ ولا ظلومِ الفعلِ لا يُنْصِفُ

فما شكّ أحدٌ ممّن حضر أنّ الغلام كان وعده وأخلفه، وأنّ الشعَر له"[1]. وفي هذه الخبر تولّى (أبو أحمد) رواية الخبر، وهو أحد شخصيّاته، وكان شاهداً على ما جرى فيه من أحداث، ونلاحظ أنّه لا يقدّم لنا أي تفسير فيه إلّا بعد أن تكون الشخصية قد توصّلت إليه، ولذلك تساوت معرفة الراوي بمعرفة الشخصيّة.

ـ الوظائف:

أنتجت الدراسات السرديّة الحديثة مفاهيم إجرائيّة تحلّل النصّ السرديّ، بغية معرفة الآليات الإبداعيّة التي تشكّل وفقها النصّ؛ لذا نجم الاهتمام بالوظائف السرديّة من حيث هي" وحدات بنائيّة سرديّة صغيرة، يتأسس وفقها الخطاب، وتتشكّل من مجمل مكوّنات النصّ"[2]، وتكوّن الهيكل الأساسيّ في النصّ، وقد ارتبط مفهوم الوظيفة بمفهوم البنيّة، واتخذت تسمية متعددة، فهي عند الشكلانيين الروس الحوافز ولها تقسيمات وأنواع تعد مراكز توجّه السرد إلى غاياته، ورأى تودوروف أن الوظائف تخلق البنية[3]، وقد اعتمد بعض الباحثين على وظيفة اللغة في تحديد الأدبيّة من خلال المقارنة بين حكم اللغة في الخطاب العاديّ وحكمها في الخطاب الأدبيّ، فوظيفتها في الخطاب العاديّ إبلاغيّة أساساً وفي الخطاب الأدبيّ إبلاغيّة جماليّة[4]، وارتبطت وظيفة اللغة عند جاكبسون بعناصر التواصل، وحدّدت الشعريّة بوصفها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعريّة في علاقاتها مع الوظائف الأخرى للغة[5]. بينما أطلق رولان بارت على الوظائف تسمية الوحدات، وعدّها مكوّنة لكلّ أشكال الحكي وجعلها إمّا توزيعيّة أو إدماجيّة، وربطها بالدلالة بوصفها " وحدة من المضمون"، ورأى أنّ" المستوى السرديّ مشغول بعلامات السرديّة وهي مجموع العوامل التي تعيد دمج الوظائف والأفعال في الاتّصال السرديّ المرتكز على مانحه ومتلقيه[6]، أمّا فلاديمير بروب فقد جعلها مرتبطة بأفعال الشخصيّات، وعرّفها بأنّها" عمل شخصية ما، وهو عمل محدد من زاوية دلالته، داخل جريان الحبكة"[7]. من هنا نجد أنّ استعمال مصطلح الوظيفة قائم على المعنى النفعيّ المرتبط بالغايات والمقاصد، أو بالمعنى بالمعنى التجريدي القائم على التنظيم والتنسيق والخصوصيّة.

وإذ نجترح هذه المفاهيم في ضوء التحليل السرديّ لأحد الأخبار الطوال ـ وهو خبر الذي رواه التوحيديّ للوزير أبي الوفاء عن المناظرة التي جرت بين متى بن يونس القنائيّ الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافيّ في مجلس الوزير ابن الفرات حول الحديث عن المنطق[8]ـ في محاولة لبلورة مفهوم الوظيفة، فإنّنا نستعين بمعطيّات نظرية التواصل بوصفها إحدى الركائز المنهجيّة في التحليل. ولكي نقدم فكرة عن هذه الوظائف، كان من الضروري تقديم صورة مختصرة عن العوامل المكوّنة لكلّ سيرورة لسانيّة ولكلّ فعل تواصليّ لفظيّ. إنّ المرسل يوجّه رسالة إلى المرسل إليه، ولكي تكون

[1] المصدر نفسه، 119/1.
[2] في مناهج تحليل الخطاب السرديّ، عمر عيلان، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2008م، ص 25.
[3] ينظر: مفهوم الأدب ، تزفيتان تودوروف، تر: محمّد منذر عياش، سلسلة الدراسات الأدبيّة، دار الذاكرة ، حمص ، ط 2، 1990، ص48.
[4] بنية النصّ السرديّ من منظور النقد الأدبيّ، حميد لحمدانيّ، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت- الدار البيضاء، ط 1، 1991م، ص11-12.
[5] ينظر: قضايا الشعريّة ، رومان جاكبسون، تر: محمّد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب، ط1، 1988م، ص35. وموسوعة السرد، عبدالله إبراهيم، ص11.
[6] من البنيوية إلى الشعريّة، رولان بارت وجيرار جنيت، تر: غسان السيّد، السلسلة النقديّة 3، مكتبة نينوى للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2001م، ص 25، 47.
[7] مورفولوجيا الحكاية، فلاديمير بروب، تر: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربيّة للناشرين المتّحدين، المغرب، ط1، 1986، ص35.
[8] معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، 894/3-908.

الرسالة فاعلة، فإنّها تقتضي سياقاً تحيل عليه، وتقتضي سنّناً مشتركة كلّيّاً أو جزئياً بين المرسل والمرسل إليه أو بعبارة أخرى بين المُسنِّن ومفكك سنّن الرسالة، وتقتضي الرسالة اتّصالاً أي قناة فيزيقيّة، وربطاً نفسياً يسمح بإقامة التواصل والحفاظ عليه[1]، ويولد كلّ عامل من هذه العوامل وظيفة لسانيّة مختلفة، وتكون إحدى هذه الوظائف مهيمنة على النصّ دون أن تلغي الوظائف الأخرى.

الوظائف السرديّة واللغوية:

من الوظائف السرديّة واللغويّة في هذا الخبر: الوظيفة السرديّة فالدور الأساسيّ الذي يمارسه الراوي يبدو في أدائه هذه الوظيفة، فإذا بها تستحيل وظيفة مركزيّة في السرد فثمة ترابط بين الحدث وسارده ثم من خلال إنجاز المعنى اعتماداً على تقنيات سرديّة قادرة على خلق حقيقة سرديّة في قول الحكاية، تولّدها أدبيّة السارد وقدرته على تحويل الواقع المرجعيّ نفسه إلى فنّ أدبيّ.

والوظيفة التأصيليّة التي قدّم فيها التوحيديّ تأصيلاً لقضيّة كبرى من قضايا عصره شُغلت بها أقلام المفكرين المبدعين زماناً، فالخبر يطرح ظلّاً فنيّاً للحياة الفكريّة التي أفرزته متمثّلاً الثقافة العربيّة الأصليّة، القائمة على الفكر والجدل والعلم وآداب اللغة والفقه، إضافةً إلى وظيفة وصفيّة يقوم فيها التوحيديّ بتقديم مشاهد المحاورة ونقل مجرياتها، كما يمكن أن نلمح في هذا الخبر تمثيلاً لظواهر الأداء الكلاميّ، وعناية بسرد التفاصيل التي تسهم في اكتمال اللوحة السرديّة قصد الإحاطة الشاملة بالأفكار.

والوظيفة الانفعاليّة أو التعبيريّة المركّزة على المرسل لتعبّر بصفة مباشرة عن موقف المتكلّم تجاه ما يتحدّث عنه وتنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو خادع[2] ـ مثل قولنا: إنّ لديك سموةً وإنّك جميلة في الصيف ـ ومن هنا، يوجه رسائل ودلائل متعدّدة. فإذا حللنا اللغة من زاوية الإخبار الذي تنقله، وجدنا توزيع الوظائف الأساسيّة بين شخصيات لها انتماءاتها المعروفة، لتنهض بالغايات والمقاصد ذات الحساسيّة الشديدة إن صدرت من شخصيّات أخرى، بمن فيهم التوحيديّ، إنّه توزيع تفاضليّ وتكتيكي في آن واحد اعتمد مسألة الوقت المستمهل والملائم لظهور وجهة النظر الخاصة به، ممّا يدل على أنّ التوحيديّ التزم الحياد والموضوعيّة وهذا ما يستدعي الانفعال الصادق. في حين أنّ ما كان من استجابة الوزير، وردود أفعاله ورصد انفعالاته الشخصيّة، وخاصة ما كان من إظهار الاستحسان والإعجاب هو تجلٍ للوظيفة الإمتاعيّة التي كان يحققها السرد في صورته الشفاهيّة الأولى التي أعاد التوحيدي نقلها إلى أبي الوفاء. ومن هنا ارتبطت الوظيفة الانفعاليّة وهي وظيفة لغويّة في تركيزها على المرسل بوظيفة سرديّة هي الوظيفة الإمتاعيّة التي تركز على المرسل إليه.

وتتحدد الوظيفة الأساسيّة للغة بالتواصل بين المرسل والمرسل إليه الذي تتولّد عن مراعاته الوظيفة الإفهاميّة، ولكن الأثر الأكبر للوظيفة التواصليّة يكمن في العلاقة بين التوحيديّ والوزير وأبي الوفاء، فتنوّع بينهم مستويات التواصل بين الخطاب الشفاهيّ والمكتوب، وتبرز هذه الوظيفة جليّة من خلال الحوار المتبادل بين المرسل والمرسل إليه، ونقل رودود الأفعال بين الطرفين، كما أنّ حضور ثقافة السؤال هو قضيّة مهمّة في التواصل. كقوله:" وقال لي الوزير: ذكرتني شيئاً كان في نفسي وأحببتُ أن أسألك عنه وأقف عليه، أين أبو سعيد من أبي عليّ وأين عليّ بن عيسى منهما وأين المراغي أيضاً من الجماعة وكذلك المرزبانيّ وابن شاذان وابن الورّاق وابن حيويه؟"[3].

[1] **قضايا الشعريّة، رومان جاكبسون، ص29.**
[2] **قضايا الشعريّة، رومان جاكبسون، ص31 .**
[3] **معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، 909/2.**

وتقع وظيفة الإدارة على عاتق الراوي الذي يوجه عملية السرد، وينظم سيرها، وتتجه إلى المروي له، فيقود حركة السرد إلى حيث يريد. وإنّ استخدام التوحيديّ تقنية الراوية داخل الراوية (الميتارواية) وضع القضيّة المطروحة على بساط البحث التجريديّ، وهذه الراوية بدأت تؤسس حواراً قائماً على نوع من أنواع التقابل المنطقيّ البعيد نسبيّاً عن الأهواء والنزعات. ومن هنا نجد أنّ الوظيفة المرجعيّة التي تحيل على سياق لإدراك المرسل إليه وتركّز على أسباب ظهور قضيّة المفاضلة، وتبتعد عن منطق التعميم. فالخبر بنية شاملة مشبعة بدلالاتٍ اجتماعيّةٍ وثقافيّةٍ تتضح من خلال رؤية العالم التي يبسطها الكاتب في ثنايا خبره، وفق وعي الطبقة التي مثّلها أو أفرزها الخبر وهو وعي يتجاوز مستوى الوعي الاجتماعيّ في عصره، فتظهر وظيفة تعليميّة توجيهيّة، يتجاوز فيها وعي التوحيديّ وعي مجتمعه الذي يرى القضيّة من منظور تفاضليّ. فالهدف الذي يحتفي وراء السرد يكمن في تثقيف المتلقّي، وإخضاعه لعمليّة تكثيف معرفيّ، وتبصيره بمسؤوليّاته، عن طريق زرع بذور الوعي المبكر بحقائق وقضايا لها تأثيراتها العميقة في ذات المتلقّي، فتتجه الوظيفة التثقيفيّة إلى الاهتمام بالمتلقّي من الناحية الفكريّة والحضاريّة.

وتتجلّى الوظيفة الأيديولوجيّة والفكريّة بشكل واضح في توجيه الاهتمام إلى الآراء والأفكار التي يتبنّاها الراوي وتسويغها لدى المتلقّي صاحب السلطة، ودفعه إلى تبني تلك الأفكار، أو في الحد الأدنى ملامسة مضامينها المعرفيّة والوجدانيّة.

وإنّ الانحراف التدريجيّ بالمحاورة إلى استبدال المواقف التمهيديّة الأولى، بمواقف أكثر جرأة وصراحة في الخبر المضمّن، لم يأتِ إلّا عقب مقدّمات منطقيّة واستنتاجيّة، غيّرت المنحى العام للحوار، وفرضت مقولات جديدة بنتها على الأسباب الموجبة للتغير، ومن خلال تنامي الحوار أخذت الوظيفة الكشفيّة تبرز في أنساق الكلام والمواقف الجديدة، فالمتلقّي يستطيع الكشف عن البنيات الذهنيّة التي يتحدّث عنها الخبر من خلال ضمّ التفصيلات والجزئيات لتشكل رؤية عامّة تؤثّث المشهد العام. يقول:" قال أبو سعيد: ما تقول في رجل قال: لهذا عليّ درهم غير قيراط، ولهذا الآخر عليّ درهم غير قيراط؟ قال: متى: مالي علم بهذا النمط. قال: لستُ نازعاً عنك حتّى يصحَّ عند الحاضرين إنّك صاحبُ مَخْرقَةٍ وَزَرْقٍ، هاهنا ما هو أخفُّ من هذا: قال رجل لصاحبه: بكم الثوبان المصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغين؟ بيِّن هذه المعاني التي تضمّنها لفظ لفظ. قال متى: لو نثرتُ أنا أيضاً عليكَ من مسائل المنطق شيئاً لكان حالك كحالي. قال أبو سعيد: أخطأتَ لأنّك إذا سألتني عن شيءٍ أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى وصحّ لفظه على العادة الجارية أجبت، ثم لا أبالي أن يكونَ موافقاً أو مخالفاً، وإن كان غيرَ متعلّق بالمعنى رددتُهُ عليك، وإن كان متصلاً باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد ـ على ما حشوتم به كتبكم ـ رددته أيضاً، لأنّه لا سبيلَ إلى إحداثِ لغة مقررة بين أهلها... ثم قال حدّثنا هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين، أو رفعتم بالخلاف بين اثنين، أتراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أنّ الله ثالث الثلاثة، وأنّ الواحد أكثرَ من واحد، وأنّ الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأنّ الشرع ما تذهب إليه والحق ما تقوله؟! هيهات، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم وتدقّ عقولهم وأذهانهم ... وأنت لو عرفتَ العلماءَ والفقهاءَ ومسائلهم ووقفتَ على غَوْرهم في نظرهم، وغوصهم في استنباطهم وحسن تأويلهم لما يَرِدُ عليهم، وسعةِ تشقيقهم للوجوه المحتملة والكنايات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة، لحقّرتَ نفسك وازدريت أصحابك، ولكان ما ذهبوا إليه وتابعوا عليه أقلَّ في عنيك من السها عند القمر ومن الحصى عند الجبل"[1].

[1] **معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، 904/2، 906، 907.**

لقد استوجبت هذه المقولات نوعاً من التقابل الذي فرضته جدليّة المقارنة، التي تهيأ لتعرية حقيقة وجهات النظر، وتشرع لمسار جديدة ينشغل بالوظيفة الانتقاديّة التي تكشف الفروق الواضحة بين شخصيتن متباينتين في النزعات والميل.

وإنّ منهجيّة هذا الخبر في تحريك السرد باتجاه الغايات المقاصد، وتوظيف التقنيات اللازمة تدلّ على قدرة فائقة، تتحدد ماهيتها وضابطها الجماليّ في الأثر الذي تحدثه في المتلقّي حين توصله إلى نقطة الخصوع لمعطياتها الجديدة، وحلول مرتكزات نظرية جديدة حول قضية المفاضلة ظهرت في حد الاكتفاء والإعجاب في الخبر المضمّن:" وتفوَّضَ المجلس وأهله يتعجبون من جأش أبي سعيد ولسانه المتصرّف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة. وقال له الوزير ابن الفرات: عينُ الله عليك أيّها الشيخ، فقد ندَّيْتَ أكباداً، وأقررت عيوناً، وبيّضتَ وجوهاً، وحكت طرازاً لا تبليه الأيام ولا يتطرّقه الحدثان"[(1)]. وفي حد الإعجاب والاستيفاء والانتهاء إلى طلب الكتابة لتوثيق المتعة في الخبر الإطار:" فقال لي: اكتب هذه المناظرة على التمام فإنّ شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه وبين هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يغتنم سماعه، وتوعَى فوائده، ولا يتهاون بشيء منه"[(2)]. وهذه هي أكثر الوظائف السرديّة واللغويّة التي ظهرت في هذا الخبر.

الوظيفة الأدبيّة:

هيمنت الوظيفة الأدبيّة على الخبر السابق، وتحقّقت في الاعتماد على نسق أدبيّ في القواعد الداخليّة للغة، قائم على أساس العناية بالشكل من حيث هو الطريق الأسلم إلى المضمون ومنه إلى الدلالة، مستفيداً من وعي عالٍ وحادٍ بقضايا بلاغيّة وأسلوبيّة كبيرة أرستها جهود البلاغيين والنقّاد العرب.

وتتيح الوظيفة الأدبيّة من منظور النقد إمكانيّة الكشف عن أشكال التنظيم والصياغة في النصّ ودراسة الأنساق المتناظرة في النصّ هي التي تعطيه خصوصيّته الأدبيّة، والأدبيّة عند جاكبسون هي إسقاط لمبدأ التماثل لمحور الاختيار على محور التأليف[(3)]. أي أنّها عمليّة تكوين للسلوك اللفظيّ على أساس الانتقاء اللغويّ المتعدّد من المتماثلات، لتدخل الكلمة المنتقاة في بناء متواليّة قائمة على علاقات التجاور أو النظم.

وتتميّز اللغة الأدبيّة بالطابع المحسوس لتركيبها، ويمكن الإحساس بالمظهر الصوتيّ أو التلفظيّ والمظهر الدلاليّ لها، ووظيفتها ذاتيّة الغائيّة لكونها أكثر نسقيّة من اللغة العاديّة أو اليوميّة، وتتجلّى ذاتيّة الغائيّة من التكرار، فتقوم على روح البراعة الشعريّة في جميع مستويات اللغة على تكرّر مطّرد في انتظامه بحسب الهدف في كلّ مرّة[(4)]، من هنا كانت التوازيات النحويّة والصرفيّة والبلاغيّة تشكيلات لغويّة تسهم في تحقيق الوظيفة الأدبيّة، التي تتعالق مع المعنى؛ لأنّه ناتج الشكل، وتتعالق مع الدلالة؛ لأنّها ناتج المضمون، وقد رأى كلر أنّ التوازي النحويّ جزء من التوازي الفكريّ[(5)]، من هنا كانت القضيّة المطروحة للنقاش قائمة على فكرة التقابل والاختلاف والمقارنة قابلة للتطبيق. إذ وجدنا أنّ التقابل هو جوهر المعنى في الخبر التوحيديّ (الراوي) والمروي له (الوزير) وما يمثّل كلّ منهما، والقضيّة المثارة تقوم على ركيزتين متقابلتين: الأصوات السرديّة في النصّ (أبو سعيد السيرافي، ومتى) طرفين متقابلين، هذا ما جعل اللغة بطاقاتها التعبيريّة قادرةً على استنهاض بنى التوازي الفكريّ الذي يرتبط مع المعنى بعلاقة تكافؤيّة منظّمة، تشكّل

[1] معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، 908/2.
[2] المصدر نفسه، 894/2.
[3] ينظر: قضايا الشعريّة، رومان جاكبسون، ص35.
[4] نقد النقد، تزفيتان تودوروف، تر: سامي سويدان، منشورات مركز الإنماء القوميّ، بيروت، ط1، 1986م، ص24.
[5] الشعريّة البنيويّة، جوثان كلر، تر: السيّد إمام، دار الشرقيّات، ،القاهرة، ط1، 2000م، ص 81 .

معه قصديّة واحدة، تكمن في إظهار حدّة الاختلافات والفروق. ففي قوله:" أعني به [آلة من الآلات] يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفاسدُ المعنى من صالحه"[1]، يتولّد المعنى من تضافر بنى الترادف والتضاد والسجع لينزع الفكرة المقابلة، وهي بعد عن معرفة صحيح الكلام والمعنى من دون المنطق.

وقد يستخدم هذه الخبر علاقات الترادف في اعتمادها على المدلولات الواحدة، وربّما الأصل المشترك، على مستوى الألفاظ والجمل في إنتاج دلالات جزئيّة ترصف في حركة مطّردة؛ لتقيم معنى محدداً، وفي ذات الوقت تسوّغه وتمكّن له:" ليس كلّ ما في الدنيا يوزن، بل فيها ما يوزن، وفيها ما يكال، وفيها ما يذرع، وفيها ما يمسح، وفيها ما يحزر وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المرئيّة، فإنّه أيضاً في المعقولات المقرّرة"[2].

وتتداعى الألفاظ ذات الصبغة الأدبيّة الواضحة في عمليّة انتقاء منظّمة على محور الاستبدال في موازاة الاهتمام بالنظم، توظّف في جوهرها؛ لتحصيل الوظيفة الأدبيّة، وتنتظم في تشكيل المعنى وفق سمات أسلوبيّة، تسم لغة الخبر بطابعها المميّز والخاصّ، فعندما نجد كلمة (مفضوضة) في العبارة الآتية:" وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الأرض" بتكوينها اللفظيّ المعتمد على تكرار حرف الضاد، وما تحدثه من إيقاع صوتي موحٍ، والمعنى المعجميّ الذي يحيل على (إنهاء المشكلة وحسم أمرها)، و(فتح الرسالة وفكّها)، و(كسر قفل الباب)، و(التفريق بين الجمع) [3]، والفضاء الدلاليّ الذي يوحي بالانتشار والتوزيع إنّه إذن يطلق اللغة من قيودها لتعود حرة طليقة. وهذه مجتمعة يضاف إليها السياق الذي نظمت فيه (الجملة الاسميّة والجار والمجرور) لتدلّ على ثبات فكرة أنّ العلم والصناعات مبثوثة في العالم، وليست محصورة في حضارة أو ثقافة، وإن كانت نسب حضورها متفاوتة بينهم.

وقد تلجأ لغة الخبر الأدبيّة إلى تطبيق بنى مركّبة من التوازي النحويّ والصرفيّ والبلاغيّ، فكانت تجمع بنية السجع والترادف، تحيل فيها الزمن الماضي إلى الديمومة والزمن المطلق، ويؤدي تكراره إلى إحداث تراكم معنويّ يُطوِّر الدلالات ويحررها من القيد الزمنيّ، كما في العبارة الآتية:" إنّ الترجمةَ صَدَقَتْ وماكذبت، وقوَّمت وما حرَّفت، ووزنت وما جزفت، وأنّها ما التاثث ولا حافت، ولا نقصت ولا زادت، ولا قدمت ولا أخرت، ولا أخلَّت بمعنى الخاصّ والعامّ، ولا بأخصّ الخاصّ ولا بأعمّ العامّ"[4]. و" وأنّهم لو أرادوا أن يخطئوا ما قدروا، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا، وأنّ السكينة نزلت عليهم، والحقّ تكفَّلَ بهم، والخطأ تبرّأ منهم، والفضائل لصقتْ بأصولهم وفروعهم، والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم"[5].

ويدخل التوازي النحويّ والصرفيّ والترادف في علاقة جدليّة مع المعنى المرتكز على استنهاض الطاقات اللغويّة وحتّى الصوتيّة لإحداث فاعليّة الاستنكار والدهشة:" فكأنّك تقول: لا حجة إلّا عقول يونان، ولا برهان إلّا ما وصفوه، ولا حقيقة إلّا ما أبرزوه"[6]. وهذا ما يشكل حافزاً نحو الأعماق إلى أن يستبين مركز أو مراكز التلاقي أو البؤرة التي تشيع تشيع فيها البنى والدلالات كافة[7].

أو في تشكيل المعنى من تماثلات مقطعيّة، ومتواليات مرجعيّة، فغاية الراوي في السرد لا تتعلّق بمجرد عرض الموضوع، إنّما ترتبط بالإقناع وخلق حالة من المصداقيّة تقتضي منه إحالات على المرجع، أو خلق حالات من

[1] معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، 895/2.
[2] معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، 895/2 -896.
[3] معجم لسان العرب، محمّد بن مكرم ابن منظور، مادة (ف ض ض).
[4] معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، 897/2.
[5] المصدر نفسه، 897/2.
[6] المصدر نفسه، 897/2.
[7] مذكرات نقديّة، فاخر ميّا، ص90.

التفاعل والمشاركة من الراوي توفّرها الصيغ المرجعيّة: " وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم تتبَّع طريقكم وبيّن خطأكم وأبرز ضعفكم، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليهم كلمة واحدة ممّا قال، وما زدتم على قولكم: لم يعرفْ أغراضنا ولا وقف على مرادنا وإنّما تكلم على وهم. وهذا منكم لجاجة ونكول، ورضى بالعجز والكلول، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض: فهذا قولكم في فَعَل وينفعل لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما، ولم تقفوا على مقاسمهما، لأنكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يَفْعَلُ وقبولِ الفعل من ينفعل، ومن وراء ذلك غاياتٌ خَفِيَتْ عليكم ومعارفُ ذهبتْ عنكم، وهذا حالكم في الإضافة، فأمّا البدل ووجوهه والمعرفة
وأقسامها والنكرة ومراتبها وغير ذلك ممّا يطول ذكره فليس لكم فيه مقال ولا مجال"[1].

وتعتمد بنية التكرار والترادف على تفريعات المعنى وإمداده بالزيادات الإيضاحيّة وبنوع من التواتر اللفظيّ في الأفق التنظيميّ الذي يدخل المتكررات في علاقة اشتمال في الدلالة:" بل كانوا كغيرهم من الأمم يصبون في أشياء ويخطئون في أشياء، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور، ويحسنون في أحوال ويسيئون في أحوال"[2].

وتعمل بنية الاستفهام والشرط على خطين متوازيين الأول يفتح الاحتمالات على أجوبة متعددة، ويعمل الثاني على الحصر والتقييد، فالتضاد الحاصل بين البنيتين يولد دلالة جديدة يحكم القضية بمسوغاتها، وتحدد خياراتها بما لا يخالف التوقع إن حصل الشرط:" وإن كانت الحاجة قد مَسَّتْ إلى ما قبل البرهان فهي أيضاً ماسة إلى ما قبل البرهان، وإلّا فلمَ صنّف ما لا يحتاج إليه ويستغنى عنه"[3]. و" إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلّا إلّا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟"[4].

وتمنح روابط العطف وبنية التوازي النحويّ والصرفيّ بترددداتها الإيقاعيّة القصيرة والسريعة المعنى تكثيفاً حاداً: "والحقّ تكفَّلَ بهم، والخطأ تبرّأ منهم، والفضائل لصقتْ بأصولهم وفروعهم، والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم"[5].

وفي الختام لم تغب خصائص اللغة الأدبيّة التي ميّزت هذا الخبر، وقد قامت على معايير تستند إلى فتح المعنى على احتمالات أوسع من نطاق العلامة التي يؤدّيها، وذلك من خلال تحميل العلامة أقصى طاقاتها، ورصفها وفقاً لمبدأ التماثل والتباين وفي بنى تركيبيّة تعزّز المعنى، وتفتح مسارب الدلالات على احتمالات التلقّي والتأويل. وهذا في الصميم من رؤية الظاهرة لإدراك الذات أو المعنى[6].

وعليه يمكن القول إنّ الخبر استطاع أن يلامس الأدبيّة من أوسع مبادئها، إذ كشفت اللغة المستخدمة حيازتها على قوانين ناظمة ميّزت أساليب الخطاب، وتجلّت في مبدأ التقنية والوظيفة في التواصل والتبليغ والاستحضار، وبقدر كبير من التعالي الجماليّ الذي يتناغم ومستويات اللغة الصوتيّ والصرفيّ والنحويّ والدلاليّ. وهذه المستويات هي التي رسخت الأبعاد الفكريّة والمعرفيّة والقيميّة للخبر.

[1] معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، 905/2.
[2] المصدر نفسه، 2/ 898.
[3] المصدر نفسه، 904/2.
[4] المصدر نفسه، 896/2.
[5] المصدر نفسه، 897/2.
[6] مذكرات نقديّة، فاخر ميّا، ص96.

خاتمة:

من خلال ما تقدّم نستطيع القول إنّ السردية بوصفها علماً متفرّعاً من الشعريّة ـ التي تهتم بخصائص الخطاب الأدبيّ بنوعيه الشعريّ والنثريّ ـ أصبحت تعنى بسرديّة الخطاب الأدبيّ بصفة خاصّة، وأصبحت دراساتها تسير في اتّجاهات مختلفة اهتمّ بعضها بالمستوى الخطابيّ، بينما اهتمّ بعضها الآخر بالتركيب السردي، في حين اهتمّ الآخرون بالدلالة.

وقد سعى نقادها إلى اكتشاف بنياتها الخاصّة والعامّة، مستفيدين من النموذج اللسانيّ الذي كان سائداً في عصرهم، والذي وفّق ـ غالباً ـ في التعامل مع النصوص السرديّة من خلال عدم اهتمامه بالأحكام القيميّة، والتركيز على ما هو واقع فعلاً في النصّ، ولقد تأكد ذلك بظهور كثير من النماذج في النقد السرديّ.

وبعد معاينة نموذج جيرار جنيت يمكن القول بليونة منهجه وطرافته في تحليل الخطاب السرديّ، ونرجع هذه الليونة إلى فاعلية مقاربته التي تقوم على رؤية متكاملة للعمل الأدبيّ الذي نظر إليه الناقد من زاوية لسانيّة غير تلك المعتمدة في الشعريّة الكلاسيكيّة؛ فهي تقوم على ضرورة ربط الدال بالمدلول على أساس أنّهما يكملان بعضهما البعض، وهنا تكمن أهميّة ونجاعة هذه المقاربة. أمّا فيما يتعلّق بالناحية التطبيقيّة فإنّنا نؤكّد أيضاً على قابلية النصّ المختار وطوعيّته للتطبيق، فالمطلع على التراث السرديّ العربيّ لا يجد بأساً في مقاربة نصوصه التراثيّة العربيّة وفق نموذج جيرار جنيت. وهذا يحيل مباشرة على مسألة في غاية الأهمية هي اللقاء الواعي والجميل بين الأدبيّ والنقديّ.

المصادر والمراجع:

1. أساس البلاغة، جار الله الزمخشريّ، دار الكتب المصريّة ، مصر، 1922م.
2. بنية الخطاب السرديّ من منظور النقد الأدبيّ، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربيّ للطباعة، الدار البيضاء، ط3، 2000م.
3. البنية السرديّة في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ميساء سليمان الإبراهيم، الهيئة العامّة للكتاب، دمشق، 2011م.
4. بنية النصّ السرديّ من منظور النقد الأدبيّ، حميد لحمدانيّ، المركز الثقافيّ العربيّ،بيروت ـ الدار البيضاء، ط1، 1991م.
5. تحليل الخطاب الروائيّ، سعيد يقطين، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط3، 1997م.
6. خطاب الحكاية: بحث في المنهج، جيرار جنيت، تر: محمّد معتصم وغيره، الهيئة العامّة للمطابع الأميريّة، ط2، 1997م.
7. دروس في الألسنة العامّة، فرديناند دي سوسير، تر: صالح القرماديّ ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربيّة للكتاب، تونس.
8. السرد ومناهج النقد الأدبيّ، عبدالرحيم الكرديّ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2004م.
9. السرديّة العربيّة: بحث في البنيّة السرديّة للموروث الحكائيّ العربيّ، عبدالله إبراهيم، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط1، 1992.
10. الشعريّة البنيويّة، جوثان كلر، تر: السيّد إمام، دار الشرقيّات، ،القاهرة، ط1، 2000م.
11. الشعريّة، تزفيتان تودوروف، تر: محمد معتصم ورجاء السلامة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1980م.
12. عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جنيت، تر: محمّد معتصم، المركز الثقافيّ العربيّ، ط1، 2000م.
13. في مناهج تحليل الخطاب السرديّ، عمر عيلان، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2008م.
14. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تح: محمد نعيم العرقسوسيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1998م.
15. قضايا الشعريّة، رومان جاكبسون، تر: محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب، ط1، 1988م.

16. الكلام والخبر، سعيد يقطين، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط1، 1997م.
17. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت.
18. مدخل إلى التحليل البنيويّ للقصص، رولان بارت، تر: منذر عياشيّ، مركز الإنماء الحضاريّ، حلب، 2002م.
19. مذكرات نقديّة، فاخر ميّا، دار الينابيع، دمشق، 1997م.
20. مصطلحا السرد والخطاب(مقاربة بين النظرية والنظرة اللغوية العربيّة القديمة)، السعيد الهادف، مجلة المبرز، فيفري، 2002م.
21. معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، تح: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 1993م.
22. معجم السرديّات، محمّد القاضي وآخرون، الرابطة الوطنيّة للناشرين المستقلّين، بيروت، ط1، 2010م.
23. معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتونيّ، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002م.
24. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، 1972م.
25. مفهوم الأدب ، تزفيتان تودوروف، تر: محمّد منذر عياش، سلسلة الدراسات الأدبيّة، دار الذاكرة ، حمص، ط2، 1990م.
26. من البنيوية إلى الشعريّة، رولان بارت وجيرار جنيت، تر: غسان السيّد، مكتبة نينوى للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2001م.
27. المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت،2005م.
28. مورفولوجيا الحكاية، فلاديمير بروب، تر: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربيّة للناشرين المتّحدين، المغرب، ط1، 1986م.
29. موسوعة السرد العربيّ، عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.
30. نصوص الشكلانيين الروس: نظرية المنهج الشكليّ، الشركة المغربيّة للناشرين، المغرب، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، ط1، 1982م.
31. نقد النقد، تزفيتان تودوروف، تر: سامي سويدان، منشورات مركز الإنماء القوميّ، بيروت، ط1، 1986م.

Sources and References:

1. The basis of rhetoric, Jarallah Al-Zamakhshari, Dar Al-Kutub Al-Masrya, Egypt, 1922AD.
2. The Structure of Narrative Discourse from the Perspective of Literary Criticism, Hamid Hamdani, The Arab Cultural Center for Printing, Casablanca, Edition3,2000AD.
3. The Narrative Structure in the Book of Pleasures and Condemnation, Maysa Suleiman Al-Ibrahim, General Book Authority, Damascus,2011AD.
4. The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Hamid Hamdani, The Arab Cultural Center, Beirut - Casablanca, Edition 1,1991AD.
5. Analysis of narrative discourse, Saeed Yektan, The Arab Cultural Center, Casablanca, Edition 3,1997AD.
6. The Discourse of the Story: A Research in the Curriculum, Gerard Gennett, translation: Muhammad Mu'tasim and others, The General Authority of Al-Amiriyyah Printing, Edition 2,1997AD.
7. Lessons in public tongues, Ferdinand de Saussure, translation: Salih Al-Qarmadi, Muhammad Al-Shawush and Muhammad Ajinah, Arab Book House, Tunisia.
8. Narration and Curricula of Literary Criticism, Abd al-Rahim al-Kurdish, Library of Literature, Cairo, , Edition 1, 2004AD.
9. The Arab Narrative: A Research in the Narrative Structure of the Arab Storytelling, Abdullah Ibrahim, The Arab Cultural Center, Casablanca, Edition 1, 1992AD.
10.Structural Capillary, Gothan Color, Ter: Mr. Imam, Dar Al Sharqiyat, Cairo, Edition 1, 2000AD.

11.Al- capillarity, Tzfitan Todorov, translation: Muhammad Mutasim and Rajaa Al-Salama, Dar Toubkal, House, Casablanca, Edition 2, 1980AD.
12.Return to the Discours of the story, Gerard Gennett, translation: Muhammad Mu'tasim, The Arab Cultural Center, Edition 1, 2000AD.
13.In the Curricula of Narrative Discourse, Omar Eilan, Union of Arab Writers, Damascus, 2008AD.
14.The surrounding dictionary, Turquoise Abadi, Investigation of: Muhammad Naim Al-Arqsousi, Al-Risala Foundation, Beirut, Edition 6, 1998AD.
15.Issues of Poetry, Roman Jacobson, Ter: Muhammad Al-Wali and Mubarak Hanoun, Dar Toubkal, Morocco, Edition 1, 1988AD.
16.Discourse and News, Saeed Yektan, The Arab Cultural Center, Casablanca, Edition 1, 1997AD.
17.Lisan Al-Arab, Ibn Manzoor, Dar Sader, Beirut.
18.An Introduction to the Structural Analysis of Stories, Roland Barth, translation: Munther Ayachi, Center for Civilization Development, Aleppo, 2002AD.
19.Mozkerat Nakdei, Fakher Mayyam Dar al Yanabea'a Damascus, 1997AD.
20.The terms narration and discourse (an approach between theory and the old Arabic linguistic view), Al-Saeed Al-Hadef, Al-Mubarraz Magazine, February, 2002AD.
21.Dictionary of writers, Al-Hamwi Al-Hamwi, Investigation of Ihsan Abbas, Islamic Dar Al-Gharb, Beirut, Edition 1, 1993AD.
22.A dictionary of narrations, Muhammad al-Qadi and others, National Association of Independent Publishers, Beirut, Edition 1, 2010AD.
23.Glossary of Criticism of the Novel, Latif Zeitouni, An-Nahar Publishing House, Beirut, Edition 1, 2010AD.
24.The Intermediate Dictionary, The Arabic Language Academy, Cairo, 1972AD.
25.The Concept of Literature, Tzfitan Todorov, translation: Muhammad Munther Ayyash, Series of Literary Studies, Dar Al-Zakira, Homs, Edition 2, 1990AD.
26.From Structuralism to Poetry, Roland Barth and Gerard Gennett, T .: Ghassan Al-Sayyid, Nineveh Library for Studies and Publishing, Damascus, Edition 1,2001AD.
27.Al-Munajjid in Language and Media, Louis Maalouf, Dar Al-Mashreq, Beirut, 2005AD.
28.The Morphology of the Story, Vladimir Propp, Ter: Ibrahim Al-Khatib, The Moroccan United Publishers Company, Morocco, Edition 1, 1982AD.
29.Encyclopedia of Arab Narration, Abdullah Ibrahim, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, Edition 1, 1982AD.
30.Texts of Russian Formers: Theory of Form Syllabus, The Moroccan Publishers Company, Morocco, Arab Research Foundation, Beirut, Edition 1, 1982AD.
31.Criticism of Criticism, Tzfitan Todorov, translation: Sami Suwaidan, National Development Center Publications, Beirut, Edition 1, 1986AD.